(EISSN :2602-5434) -(ISSN:2437 -0231)

الدّراسة النّصية عند اللّغويين العرب القدامى بين التّقعيد النّحوي والتّنظير البلاغيّ

The textual study among the ancient Arabic linguists between the grammatical and phonological theory.

د. بركاهم العلوي.
أستاذ محاضر(أ)
المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة

الطّالب: حمزة نايلي دواودة
المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة

الجزائر

تاريخ الإرسال: 2019/03/09 تاريخ القَبول: 2019/03/20 تاريخ النّشر:2019/06/15

ملخّص:

تميّز اللغويون العرب القدامى بممارسات نصية لا يمكن تجاهلها، إذ كانت لهم أوّل ممارسة نصيّة واعية مع الكتاب المعجز(القرآن الكريم)، حيث نتج عن اهتمام النحويين والبلاغيين العرب القدامى بالشّعر والخطابة والرّسائل وغيرها من فنون القول المعروفة لديهم ، ممارسات نصية أفرزت جملة من الملاحظات والآراء التي تدور في فلك الدّراسات النّصية المعاصرة، وتتراءى لنا هنا الممارستان النّحوية والبلاغية (التّقعيد النّحوي والتّنظير البلاغي) ، فقد ارتقتْ هاتان المحاولتان عند بعض العلماء العرب إلى مستوى الممارسة النّصية أيْ التّعامل مع نصوص كاملة، وهذا يكشف عن الخطأ الذي وقع فيه بعض المحدثين الذين عدوا العلوم اللّغوية العربية القديمة جهازًا أو نظامًا معطلا لا يرقى إلى مستوى الممارسة النّصية التي تتعامل مع نص أو خطاب كامل.

الكلمات المفتاحية: النص؛ النحو؛ البلاغة؛ الاتساق؛ الانسجام؛ لسانيات النص.

المنارة للاستشارات

Abstract:

The ancient Arabic linguists were distinguished by textual practices that could not be ignored. They had their first conscious textual practice with the Quran, which resulted from the interest of ancient Arab linguists in poetry, rhetoric, letters and other known sayings. Textual practices have produced a number of observations and views in the orbit of contemporary textual studies. Here we see the grammatical and rhetorical practices (grammatical and rhetorical). These attempts exceeded some Arab scientists to the level of textual practice, dealing with full texts. This reveals the error in which some of the modernists who have lost the old Arabic linguistic sciences have become a device or a system that does not reach the level of textual practice that deals with a full text or speech.

Keywords: text, grammatical, rhetorical, cohesion, Text linguistics , Coherence.

مقدّمة :

يشكل "النص" مفهوما مركزيا في الدراسات اللسانية المعاصرة؛ حيث اختصت الدراسات التي تهتم بالنص باسم : علم النص، أو لسانيات النص، أو لسانيات الخطاب، أو نحو النص...وكلها تتفق حول ضرورة مجاوزة "الجملة" في التحليل البلاغي إلى فضاء أرحب وأوسع، بل وأخصب في محاورة العمل الفني هو "الفضاء النصي"، فقد عدّت الأستاذة خولة طالب الإبراهيمي أن الاتجاه إلى النص يعتبر فتحا جديدا في تاريخ اللسانيات الحديثة؛ و "هو التحول الأساسي الذي حدث في السنوات الأخيرة، لأنه أخرجها–اللسانيات- نهائيا من مأزق الدراسات البنيوية التركيبية التي عجزت في الربط بين مختلف أبعاد الظاهرة اللغوية : البنيوي والدلالي والتداول. لقد تجاوزت الدراسات اللسانية النصية حدود البنية اللغوية الصغرى-الجملة- إلى بنية لغوية أكبر منها في التحليل هي

المنارة للاستشارات

النص؛ إذ عُدّ النص الصورة الكاملة والأخيرة المتماسكة التي يتم عن طريقها التواصل بين أفراد المجموعة اللغوية وقد بشّر هاريس بعلم اللغة النصي؛ حيث لم تعد الجملة كافية لكل مسائل الوصف اللغوي فكان من المفروض أن يتجه الوصف في الحكم على الجملة من وضعها في إطار وحدة كبرى هي النص، وقد عُدّ علم النص في رأيهم تطويراً وتوسيعاً لعلم لغة الجملة الذي شُغل به البنائيون الأمريكان منذ بلومفيلد كما شُغلت به مدرسة تشومسكي في الكفاءة اللغوية التي توصف توليدياً في إطار القدرة على توليد عدد لا متناه من الجمل، وقد استطاع هاريس بمناهجه النصية المبكرة والمبتكرة التي اعتمدها في كتابه(تحليل الخطاب) تطوير المناهج المتبعة في تحليل الجملة. ولقد اهتم العرب بالقرآن؛ فبرز منهم علماء كرّسوا جهودهم لخدمة النص المقدس، وحاولوا بيان وجوه إعجازه، وما تزال مؤلفاتهم شاهدة على ما قدموه في سبيل ذلك، ومن بين الوجوه الإعجازية التماسك الوثيق الذي يربط آيات وسور القرآن التي نزلت منجمة على مدار ثلاث وعشرين سنة. فإذا كانت اللسانيات المعاصرة قد اقتحمت عالم النص، فهل هناك رؤية نصية أصيلة في التراث العربي؟

1– مفهوم النّص: لغة و اصطلاحا عند العرب القدامى:

1–1 – المفهـوم اللغوي: وردت معاني كلمة(نص)بدلالات متعددة في المعاجم العربيّة القديمة، ولعلّها تعود إلى جامع دلالي واحد هو الارتفاع؛ فقد وردت مـادة(ن، ص، ص) في تاج العروس بمعنى العلو و الارتفاع «فقيل نصصت الشّيء، رفعـته، ومنـه منصة العروس... »(2) ، وجاء في لسان العرب **لابن منظور**، و هـو يتحدث بـشأن مادة(ن، ص، ص)،قوله :«النص هو الإسناد إلى الرئيس الأكبر، و النص لتوقيف و التعيين على شيء ما»(3).

و يمكن أنْ نجمل أهمّ دلالات كلمة(نص) بالمخطط التالي:

المنارة للاستشارات

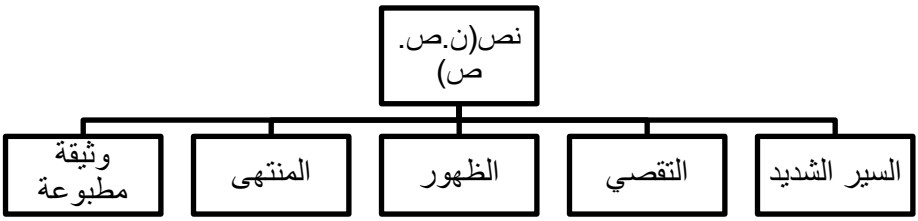

الشكل (01) دلالات النص عند العرب القدامى

وهكذا يمكن القول إنّ كلمة "نص" استعملت بدلالة السّير الشّديد و الانتماء و البلوغ و الرّفع ثم تطورت إلى إسناد الكلام و رفعه إلى منشئه الأصلي.

1– 2– المفهــوم الاصطلاحي:

لعلّ الإمام **الشّافعي** أوّل من أشار إلى مفهوم النّص اصطلاحا عندما تكلّم على أوجه البيان في الفرائض المنْصوصَة في كتاب الله عزّ و جلّ، إذ قال في أحدها إنّ النّص هو:« ما أتى الكتاب على غاية البيان فيه، فلم يخرج مع التنزيل فيه إلى غيره» (4).

فمفاهيم النص والظاهر والمجمل في تراث الأصوليين «بوصفها كلام الشارع قد تقترب في تعريفاتها و كيفياتها الإجرائية من المفهوم المعاصر للنّص، بل قد يتجاوزه في الكثير من المواضع الدقيقة» (5).

و ذكر" **الشّريف الجرجاني**" حدّ النّص في كتابه التّعريفات بقوله: « النّص ما لا يحتاج أو يحتمل لا معنى واحد، وقيل :ما لا يحتمل التأويل»(6) ، وبهذا يغدو النّص «واضح المعنى أحادي الدّلالة لا يحتاج إلى التّأويل ولا إلى سؤال عن معناه»(7) .

المنارة للاستشارات

و هكـذا ندرك أنّ مفاهيم النّص في تراثنا العربيّ قد تقترب في تعريفاتها و كيفـياتها الإجرائية من المفهـوم المعاصر للنّص ، بل قـد تتجاوزه في الكثير من المــواضع الدّقيقة، خصـوصا عند" **عبد القاهر الجرجاني**" ؛ فالنّص عنده نسيج من الكلمات يترابط بعضه البعض أو يتعالق.

2- الدراسة النصية عند علماء العربيّة القدامى:

تتجلى ملامح النصية عند اللغويين العرب القدامى من خلال تتبع جهودهم التي سلكت مسارين متكاملين يخدمان الخطاب القرآني في تمظهره البياني من خلال نظرية الإعجاز ، ويعبر هذان المساران عن ترابط البنية الشكلية بالاستعمال والتداول ، أو بعبارة أخرى تعالق البنية المقالية بالبنية المقامية ، ولعل الباب الواسع لولوج للسانيات نصية عربية في صورتها العامة ، والتأسيس لنموذج عربي طموح لها ويظهر المساران اللغويان في التّقعيد النّحوي والتنظير البلاغي اللذان يبرزان اهتمام العرب بالنص كمايلي:

2– 1– التّقعيد النّحوي:

إنّ الغاية من نشأة النّحو، ووضع القواعد هي حفظ اللّسان العربيّ من اللّحن، وتعليم اللّغة العربيّة للناطقين بها، فجاء التّقعيد النّحوي الذي يعني: «الاستغناء بالكلام في الحكم الشامل وهو القاعدة عن الكلام في أحكام المفردات كل منها على حدة»(8) ، ولقد كان المنطلق الأوّل للّغويين العرب استقراء كلام العرب الفصيح، وتم ذلك عن طريق إتباع خطوتين:

- **الخطوة الأولى:** حسية لا تتجاوز النقل والاستقراء اللذين أجراهما النّحوي على المسموع، وفي هذه الخطوة وضعت شروط لهذا المنقول الصّحيح الذي ينبغي أنْ يكون بالغا حد الكثرة حتى يصلح الاعتماد عليه(9) ، كما وضعت شروط زمنية ومكانية، وشروط تتعلق بالنّاقل نفسه والمنقول إليه.

المنارة للاستشارات

- **الخطوة الثّانية:** التّجريد، وهو استخراج المعقول من المحسوس، واتجه النّحاة في ذلك ثلاث وجهات:
  1- «استصحاب الحال.
  2- القياس.
  3- قواعد التوجيه»(10).

وتسبق هذه الخطوة عملية التّصنيف التي تبدأ بمعرفة العلاقات بين المفردات التي تنقسم إلى نوعين: علاقات وفاقية، وعلاقات خلافية، ومعنى هذا «أن التصنيف خطوة إلى التجريد»(11)، ومن خلال ما تقدم يمكن تمثيل خطوات عملية التّقعيد النّحوي بالمخطط التالي:

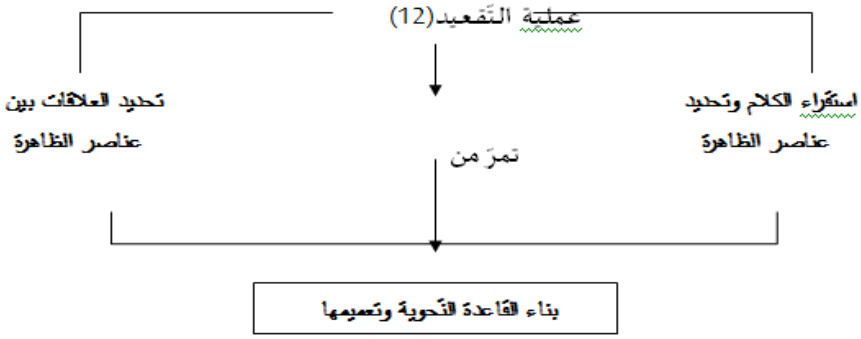

الشكل (02) مراحل التقعيد النحوي في اللغة العربية.

إنّ المصدر الأساسي للتّقعيد النّحوي هي النّصوص، لذلك «فالنحو في أصله وغايته هو علم النصوص إنه بها ولها»(13) ، فمن خلال تلك النّصوص تستخرج القواعد، وعن طريق تلك القواعد تثبت صحة النّصوص، وأشير إلى أنّ هناك عدّة قضايا تكشف عن منهج النّحاة في التّعامل مع النّصوص أهمها: تحديد النّصوص ومواقف النّحاة من النّصوص المخالفة للقواعد.

المنارة للاستشارات

2–2– التّنظير البلاغي : ويظهر من خلال نظرية النّظم عند عبد "**القاهر الجرجاني**"، وفن صناعة الكلام عند "**ابن الأثير**" .

أ– نظرية النّظم:

مصطلح النظم كما جاء في الدلائل: «وأما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك، لأنك تقتني في نظمها آثار المعاني وترتيبها على حساب ترتيب المعاني في النفس، فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيفما جاء واتفق، وكذلك كان عندهم نظيرا للنسج والتأليف، والصياغة والبناء، والوشي والتحبير، وما أشبه ذلك، مما يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض، حتى تكون لوضع كل حيث وضع علة تقتضي كونه هناك وحتى لو وضع في مكان غيره لم يصلح»(14).

شبّه "**الجرجاني**" النّظم في هذا النّص بستة عناصر، يتم من خلالها بيان مدى اكتمال النّظم ومدى تحقيقه للتّماسك والتّناسق، سواء على مستوى البناء السّطحي أو العميق في الخطاب، وحتى يقرّب ويوضح فكرة النّظم القرآني المعجز بألفاظ و تراتيب مألوفة عند العرب، هذه العناصر الأساس هي: النّسج والتّأليف والصّياغة والبناء والوشيّ والتّحبير وتحققت إذا ما تم مراعاتها في تأليف الكلام بلاغة الخطاب ممثلة في محكم السّبك والحبك، كما يسمى في الدّراسات اللّسانية المعاصرة باعتبارها نتائج لمراعاة نظم الكلمات وفق معانيها وما يقصده المتكلم منها "فليس الغرض بنظم لكلم أن توالت ألفاظها في النّطق بل تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل"(15) ، وذلك من خلال ترتيب ألفاظها وتراكيبها على حسب المعاني النّفسية وتصاغ في نسيج لغوي محكم الصّياغة والتّأليف.

فالنّص نسيج لغوي محكم البناء بين المعاني النّفسية والتّراكيب اللّغوية المتغيرة عنه في كل متماسك، وهي نظرة تتقاطع مع ما جاء به العالم

المنارة للاستشارات

الهولندي "**تون فان ديك**"(***Ton van dyke***) الذي في نظرية النسيج المتشابك للنّص، حيث اعترض على القواعد الكلاسيكية في تحليل النّصوص، ودعا إلى الوقوف في تحليلها على آليات الإضافة، الحذف والذّكر والاستبدال، ليخرج من دراسة نحو الجملة ليصل إلى نحو النّص.

ويقول **الجرجاني**: "على أن هاهنا نظما وترتيبا وتأليفا وتركيبا وصياغة وتصويرا ونسيجا وتحبيرا هذه وأن سبيل هذه المعاني في الكلام الذي هي مجاز فيه بسيلها في الأشياء التي هي حقيقية فيه"(16).

فصاحب الدّلائل يشرح في هذا النّص معنى الاتساق بصورة، تكاد تكون أقرب إلى مفهومه عند علماء لسانيات النص، بل تكاد تكون أوضح من شرحها في العصر الحديث؛ و ذلك لأنّ المفردات اللّغوية لا تمثل إلا ناحية جامدة هامدة من تلك اللّغـة، فإذا نظمت و رتبت ذلك التّرتيب المعين، سرت فيها الحياة، و عبرت عن مكنون الفكر، وما يدور في الأذهان، وليست اللغة– في حقيقة أمرها -إلا نظاما من الكلمات التي ارتبط بعضها ببعض ارتباطا وثيقا، تحتمه قوانين معينة للغة(17) .

كما يظهر في هذا المقام أنّ النّاظم مهندس بَنّاء ،كما صورته البلاغة العربية و"**الجرجاني**" في نص نفيس و بديع قام بتلخيص نظريته في صورة هندسية، و لا يعتقد أنْ الدّراسات اللّسانية القديمة أو الحديثة فكرت في مثل هذا التّصور الفريد بين البناء اللّساني و البناء بالآجر عند رصف البنايات ورصها في اتجاه أفقي وإعلائها في اتجاهها العمودي، مع مراعاة الجهات والأبعاد الأخرى و تكامل اللبنات أو تباينها وانسجام الأجـزاء و تناسقها واتساقها لتحقيق البنية في الصورة الهندسيّة التي اختارها المهندس لإنجاز بنائه المشيّد، طبقا للصورة المثالية، التي ارتسمت في ذهنه قبل الشروع في البناء، و النّاظم الذي تقوم هندسته على نظم أَجُرَاتِ النص(كلماته) ، ورصّها في الجدار

المنارة للاستشارات

الكلامي رصًّا تُراعَى فيه الأبعاد الفضائية و السّطوح المختلفة انطلاقا من النّقطة، و المرور بالخـطّ و الوصول إلى المساحة ؛ فتتحقق مطابقة الكلام لسياقه، من حيث إفادته المعاني الثواني، والتي هي الأغراض المقصودة للمتكلم، ما يجعل كلامه مشتملا على تلك اللّطائف والخصوصيات التي بها يطابق سياق الحال.

هكذا لم تكن نظرية النّظم بعيدة عن الأفكار اللّسانية المعاصرة كما في لسانية النّص، لأنّ لهما غاية واحدة في دراسة النّص في جملته وكيفية تحقيق التّماسك والتّناسق فيه، وما استخدام "**الجرجاني**" لمصطلح النّظم إلاّ إقرار بضمّ الحروف والكلم في جمل والجمل في نصوص عبر علائق نحوية لتحقيق نسيج كلّي.

إنّ هذا التّرابط أو التناسق بين الأدوات اللّغوية في ما يسمى عند المحدثين الغربيين بالاتساق وكيفية تحققه في النّص مع مراعاة الجانب الدّلالي العميق (الحبك) هو ما أشار إليه كل من "**هاليداي** "(***Haliday***) و "**رقية حسن**" (***R.Hassen***)، حيث يريان أنّ النّص يشكل من مجموعة من الجمل ترتبط فيما بينها فتشكل بنية النّص ووحدته.

وأكّد "**عبد القاهر الجرجاني**" أنّ النّظم هو عمدة، والأساس في الإعجاز القرآني، وعليه فإنّه يعادل الانسجام في اللّسانيات النصية.

فالنظم:

على مستوى السياق (السبك) ⟵ *Cohesion* (الاتساق)

على مستوى سياق الحال (الحبك) ⟵ *Coherence* (الانسجام)

إنّ الملاحظ لهذه الثنائية التي أتى بها "**الجرجاني**" في هذا النّص، يجدها بدأت بالنّظم وانتهت بالتحبير، فيها نوع من التناغم (نظم/تركيب)، (تأليف/تركيب)، (صياغة/تصوير)، (نسج/تجبير)، وفي هذا إشارة إلى مستويات الخطاب أوّلها

المنارة للاستشارات

النظم وآخرها التّحبير ،وهذه الصّفات الثمانية بهذه الطريقة تحقق تمام بلاغة الخطاب في أعلى صوره كما هو موضح:

درجة السّبك ← نظم + ترتيب (علاقة ظاهرية).

درجة الحبك ← صياغة + تصوير (علاقة باطنية).

والغرض من تشبيه "**الجرجاني**" للنّظم بهذه الصّناعات، هو تقريب المعنى لعامة النّاس، فنجده انطلق مما هو أسمى (النّظم) ثم بدأ بالتّدرج إلى (النّسج) ثم (التّأليف) ثمّ (الصّياغة) ثم (البناء) ثم (الوشيّ) ثمّ (التّحبير) حتى يتسنى لعامة النّاس فهم ما يقصده، وحتى يرفع الغموض والالتباس، جاء بهذه الصّناعات التي سادت في عصره ، ويمكنه أنْ يكون بينها وبين النّظم نوع من التّشابه في طريقة الصّنع، إذ اعتبرنا اللّغة مادة خاما، والنّظم صانعا للكلام البليغ.

- ممّا تقدّم يمكن الخروج بالملاحظات التالية:
- حالة المنظوم بعضه مع بعض: إنْ حقق المعنى مع بعضه، هذا المعنى يتفق إلى حد بعيد جدّا مع المفهوم الغربي الحديث (*coherence*) أو الاتساق.
- كيف ما جاء واتفق: أيْ بطريقة منطقيّة تربط معنى كل لفظة بمعنى اللّفظة التي تليها والتي تسبقها، ولا يكون بطريقة عشوائية (كما جاء واتفق) هذا ما يقابل المصطلح الأجنبي (*Aléatoire*).
- عندما شبه "**الجرجاني**" النّظم بـ: النّسج والتّأليف والصّياغة والبناء والوشيّ والتّحبير، أراد من خلالها أنْ يقرب مفهوم النّظم الذي يقترب كثيرا من مفهوم الانسجام (*Cohesion*) عند الغربيين.

المنارة للاستشارات

ب– صناعة تأليف الكلام:

وعن مجمل ذلك، يقول" **ابن الأثير**" : «اعلم أنّ صناعة تأليف الكلام من المنظوم والمنثور تفتقر إلى آلات كثيرة وقد قيل ينبغي للكاتب أن يتعلق بكل علم، حتى قيل :كل ذي علم يسوغ له أن ينسب نفسه إليه فيقول :فلان النحوي، وفلان الفقيه، وفلان المتكلم، ولا يسوغ له أنْ ينسب نفسه إلى الكتابة فيقول فلان الكاتب، وذلك لما يفتقر إليه من الخوض في كل فن، وملأ هذا كله الطبع، فانظر أيها المتأمل إلى هذا التفاوت في الصناعة الواحدة من الكلام المنثور ومن أجل ذلك قيل :شيئان لا نهاية لهما :البيان والجمال»(18) ؛ فصناعة الكلام أوْ الكتابة في مواضع أخرى صناعة لم ترتبط بأي علم ولا عالم، ما تحتاجه هو الآلات الكثيرة والتي يتحكم فيها الطّبع إلى غاية البيان والجمال، أيْ اللّذة والإثارة والتّأثير لتتحقق قوة النّاص وشاعريته وشعرية النّص وفاعليته، ولعل في سبيل كل ذلك يضع" **ابن الأثير**" ثمانية :آلات كشرط لتحقق فنّ الكتابة، أو" صناعة الكلام"، وهي(19) :

- معرفة علم العربية من النّحو والتّصريف.
- معرفة ما يحتاج إليه من اللّغة (المتداول المألوف).
- معرفة أمثال العرب وأيامهم.
- الاطلاع على تأليف من تقدمه من أرباب الصّناعة المنظومة والمنثورة.
- معرفة الأحكام السّلطانية (الإمامة، الإمارة، القضاء).
- حفظ القرآن الكريم وإدراجه في مطاوي الكلام.
- حفظ ما يحتاج إليه من الأخبار الواردة على النبي صلى الله عليه وسلم.
- معرفة علم العروض والقوافي (أي ميزان الشعر).

من خلال الشروط السابقة أوجب "**ابن الأثير**" على ناظم الكلام أنْ يمعن النّظر في علوم البلاغة، حتى يستطيع معرفة محاسن اللّفظ مفردا

المنارة للاستشارات

ومركبا، ويحيط بما يتفرع من أصول النّقد الذي منه البديع الذي هو رقوم الكلام، ونتائج مقدمات الإفهام، وليجعل عمدته على كتاب الله العزيز، وليميز إعجازه أدق تمييز، فإنّه البحر الذي لا تفنى عجائبه ولا يظمأ فيه راكبه، منه استخرجت درر المحاسن، واستنبطت عيون المعاني، وعرف كنه البلاغة وتحقق سر الفصاحة، ولما خصه الله به من جودة سبك وحسن الرصف وبراعة التراكيب ولطف الإيجاز، وعذوبة الألفاظ، وجزالتها وسلاسة المعاني ورشاقتها"(20) ،وتقوم الدّراسة النّحوية للظواهر اللغوية عند "**ابن الأثير**" على المقارنة بين" علم البيان "و"علم النّحو، وفي ذلك دعوة صارمة إلى تزاوج بين "القواعد النحوية البلاغية "والإحساس الفنّي الجمالي، لأنّ النّص ليس نظاما من الوحدات اللّغوية التي تستهدف الفهم فحسب، وإنّما هو نظام ذو وظيفة تأثيرية، وبهذا التزاوج وآلياته، نتميز جيد الكلام من رديئه، كون العلاقات التي تربط بين مفردات الكلام من ناحية، وبنيتها البيئية الاجتماعية النفسية، من ناحية ثانية، قد تشكل سياق جديدا مغايرا، يعود برمته إلى المتكلم، و النّسق والنّص والقصد والقارئ ليقرأ قول "**ابن الأثير**" عن فن تأليف الكلام كالتالي:

المنارة للاستشارات

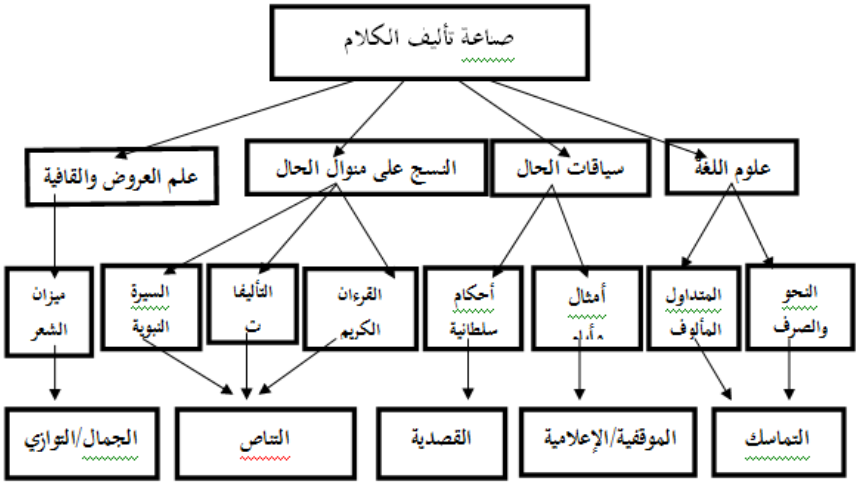

الشكل (03): علاقة صناعة تأليف الكلام عند "ابن الأثير" بالنصية.

من خلال ما سبق يفتح "**ابن الأثير**" نافذة كبرى على دراسة النّص، وفق هذه الآليات التي وضعت" لفن الكتابة"، ويشرع بأحكام الكلام، مسبقا لما سمي في الدرس المعاصر"لسانيات النص " ،كما أن المتأمل في قضايا النحو و البلاغة لدى العلماء، و في إطار حديثهم عن التماسك الحاصل في تأليف الكلام ، أو صناعة الكلام أو الصناعة الشعرية، وربطها بالرغبة وسياق واضحة المعالم والحدود، تحكمت في تحليلاتهم و مناقشاتهم ووصاياهم لقضايا الكلام الحال، تبين رؤية متكاملة والنص-خاصة القرآني -وقد استطاع العلماء من خلالها أن يتجاوزوا ذلك الإطار الضيق الذي لم يتعد تحليل الجملة أو مجموعة الجمل الذي فرضته القواعد المعيارية التعليمية على مستوى النحو أو البلاغة؛ ذلك أن البلاغة ليست أمرا مستقلا عن النحو، وأن البلاغة تساعد اللغة على أداء وظيفتها البلاغية شرط أن تدرس عنصري اللفظ والمعنى، وهي فكرة وجدت صدى لها في لسانيات النص،" لأن كل عبارة متلفظ بها ينبغي ألا توصف فقط من جهة تركيبها الداخلي..... والمعنى المحدد لها، بل ينبغي أن ينظر إليها كذلك من

المنارة للاستشارات

جهة الفعل التام للإنجاز المؤدي إلى إنتاج تلك العبارة"(21) ، ومنه فالبلاغة اشترطت على الأول -في تمام وظيفته -إنْ أراد عدولا وخروجا عن معايير اللغة، أن يشير إلى ذلك بقرينة تمنع من فهم التركيب على الحقيقة، وتوجه الفكر إلى المعنى المجازي الذي أراده مع عدم الغلو والمبالغة في ذلك إذ عدوها عيبا لابد من الابتعاد عنه .كما اشترطت على الثاني، إذا أراد السفر في رحلة فهم" غير ظاهر النص" ، أن يستند– في تأويله -إلى حجة تبرر فهمه ذاك، وكلا الطرفين مجبر على احترام قواعد اللغة، والعرف اللغوي، وهي أمور وقضايا تأكدت في اللسانيات الحديثة وتمت معالجتها برؤى جديدة .ليكون-ذلك -إسهاما عربيا بلاغيا تراثيا أصيلا، لا يجب أن نتجاوزه ولا نستطيع، بل علينا إبراز عبقريته ما أمكن، وإظهار ما فيه من شمولية وموسوعية.

الخاتمة:

وفي الأخير، ومن باب محاولة فهم الدّرس النّصي الحديث بمنظور عربي فإنّني أحاول أنْ أستند إلى ما ورد في التّراث النّحوي و البلاغي العربيّ فلا شكّ أنْ أجمع بين "نص" و "نسيج" و أجعلها في مقابل مصطلح "text" ، وذلك لأنّ "نص" عند العرب تتضمن الكلام الواضح البعيد عن التّأويل و "نسيج" تتضمن عند العرب التّنظيم و النّظم والضّم والرّصف و التّأليف على طريقة مخصوصة، بما يفصح عن شبكة من العلاقات الدّاخلية والخارجية من مكونات النّص، إلّا أنّ المعنيين لا يتحققان بدرجة متساوية في كل نص، وذلك لأسباب موضوعية ، وهي اختلاف النّصوص ، ووظائفها ودرجات كفاية الاتصال وحال منتج النّص والظّروف المحيطة:(الحال والمقام) بالنّص ، وقد ارتبط مصطلح النّص في التّراث العربي القديم بمصطلح الخطاب كما هو في الدّرس اللّساني الحديث ،وكما هو موجود في كتاب الصّناعتين لـ"أبي هلال العسكري"، و الكشّاف لـ "الزمخشري" وكشف اصطلاحات الفنون لـ "التهانوي" ؛حيث ارتبط النّص أو الخطاب بالإفهام، كقصدية من طرف

المنارة للاستشارات

صاحب الخطاب أو المتكلم، وربــط ذلك بالسّياق وحال المتلقي ، ثم إن الممارستين التي قام بهما (عبد القاهر الجرجاني)و(ابن الأثير) يمكن أن ترقى إلى مستوى الممارسة النصية، أي التعامل مع النص كاملا، وهذا يكشف عن الخطأ الذي ارتكبه بعض الباحثين العرب المحدثين الذين عدّو البلاغة العربية القديمة جهازا أو نظما معطلا لا يرقى إلى مستوى الممارسة النصية ، فقد تعامل البلاغيون مع أنواع خطابية تمثلت في القرآن الكريم و الشعر والخطبة، فقد شكل القرآن الكريم محور الدراسات اللغوية عامة ،والبلاغية ،حيث أكد البلاغيون على كشف أسراره ودلائل إعجازه وسر نظمه ،وهنا يبرز(عبد القاهر الجرجاني) كأحد أهم أعلام البلاغة العربية والذي أسس لهذا العلم واثّر فيمن جاء بعده فأتموا بنيانه و أرسو أركانه وتفرده أوصله إلى تشكيل نظرية كاملة هي نظرية "النظم" حيث اتّضحت ملامح النظرية النحوية النصية بشكل جلي في تحديد مفهوم النص ،وقواعد تشكيله بالتزامه منهجيا فكريا ملتزما فالنص باصطلاح الجرجاني هو (النظم) أو التضام ،وإنّ بناء النص و إنتاجه لا يكون إلا بقوانين وآليات خاصة وهي قوانين النحو وأصوله أو ما يسمى بالنحو البلاغي

الإحالات:

1 - أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت 396ه) ، الصحاح، المسمى تاج اللغة وصحاح العربية ، ج1، حققه وضبطه: شهاب الدين أبو عمر و، دار الفكر، بيروت، لبنان ، ط1، 1418ه/ 1998م ، 830 .

2 - أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت711ه)، لسان العرب، ج7، دار صادر، بيروت، لبنان، د ط، 1374ه/1955م ، 98.

3 - حمد بن إدريس الشافعي(ت 204ه) ، الرسالة، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه د.عبد اللطيف الهميم، د.ماهر ياسين الفحل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 ، 1426ه/2005م ، 82.

المنارة للاستشارات

4 - حسين خمري ،نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط 1، 1438 هـ/2007م ، 45.

5 - أبو الحسن علي بن محمد الجرجاني المعروف بالسيد الشريف (ت 816)، التعريفات ، تقديم د. أحمد مطلوب، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق، د ط، 1406 هـ/ 1986 م ، 132.

6 - الحبيب شبليل، من النص إلى سلطة التأويل، بحث منشور ضمن كتاب "صناعة المعنى و تأويل النص، منشورات كلية الآداب منوبة ، تونس، 1992م ، 446.

7- تمام حسان، الأصول (دراسة ابستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، نحو فقه اللغة، البلاغة)، عالم الكتب، القاهرة ،مصر، د ط، 2000م ، 60.

8 - المرجع نفسه ، 61.

9 - المرجع نفسه ، 62.

10 - المرجع نفسه، 54.

11- السعيد شنوقة، دراسات في آليات التحليل وأصول اللغة والنحو، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2009م، 34.

12 - محمد عيد، الاستشهاد والاحتجاج باللغة، (رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللغة الحديث)، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط3، 1988م ، 212.

13- عبد القاهر أبو بكر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني(ت 471هـ)،دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي ، القاهرة، مصر، ط 5 ، 1424 هـ/ 2004 م ، 50.

14 - المرجع نفسه، 65.

15 - المرجع نفسه ، 54 .

16 - محمود السعران، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، دار المعارف، مصر، ط1، 226 .

17 - أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير(ت 637 هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، د ط ، 1358 هـ/ 1939 م ، ج 1، ص7.

المنارة للاستشارات

18- المرجع نفسه، ص 09.

19- المرجع السابق، ص12.

20- تون فان ديك، النص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي) ، ترجمة : عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، د ط ، 2000م ، 18 .

المراجع:

- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت 396هـ) ، الصحاح، المسمى تاج اللغة وصحاح العربية ، ج1، حققه وضبطه: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، بيروت، لبنان ، ط1، 1418هـ/ 1998م .

- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت711هـ)، لسان العرب، ج7، دار صادر، بيروت، لبنان، د ط، 1374هـ/1955م.

- أبو الحسن علي بن محمد الجرجاني المعروف بالسيد الشريف (ت 816)، التعريفات ، تقديم د. أحمد مطلوب، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق، د ط، 1406 هـ/ 1986 م.

- أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير(ت 637 هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، د ط ، 1358 هـ/ 1939 م ، ج 1.

- الحبيب شبليل، من النص إلى سلطة التأويل، بحث منشور ضمن كتاب "صناعة المعنى و تأويل النص، منشورات كلية الآداب منوبة ، تونس، 1992م.

- تمام حسان، الأصول (دراسة ابستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، نحو فقه اللغة، البلاغة)، عالم الكتب، القاهرة ،مصر، د ط، 2000م.

- تون فان ديك، النص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي) ، ترجمة : عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، د ط ، 2000م .

- حمد بن إدريس الشافعي(ت 204هـ) ، الرسالة، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه د. عبد اللطيف الهميم، د. ماهر ياسين الفحل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 ، 1426هـ/2005م.

- حسين خمري ،نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط 1، 1438 هـ/2007م.

المنارة للاستشارات

- السعيد شنوقة، دراسات في آليات التحليل وأصول اللغة والنحو، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2009م.

- عبد القاهر أبو بكر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني(ت 471ه)، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي ، القاهرة، مصر،ط 1424،5 ه/ 2004 م.

- محمد عيد، الاستشهاد والاحتجاج باللغة، (رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللغة الحديث)، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط3، 1988م.

- محمود السعران، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، دار المعارف، مصر، ط1.

المنارة للاستشارات